هؤلاء والحانهم واصواتهم معازفهم ورقصهم الا واعقب ذلك من حزن اصلها
ونكبتهم وحلول المصائب بساحتهم ما لا يفنى بذلك السرور من غير ابطاء وسل
الوجود ينبيك عن حوادثه والعاقل من اعتبر بغيره الوجه العاشر ان رفع الاصوات
بالذكر المشروع مكروه الاحيث جاءت به السنة كالاذان والتلبية وفي الصحيح عن
ابي موسى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا
ارتفعت اصواتنا بالتكبير فقال يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون
اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق
راحلته وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والاصال
ولا تكن من الغافلين وقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وقال الحسن البصري
رفع الصوت بالدعاء بدعة ونص عليه الامام احمد وغيره وقال قيس بن عباد
من كبار التابعين كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند
القتال وهذه المواطن الثلاثة تطلب فيها النفوس الحركة الشديدة عند الذكر
والدعاء لما فيه من الحلاوة ومحبة ذكر الله ودعائه وعند الجنائز بالحزن
والبكاء وعند القتال بالغضب والحمية ومضرة رفع الصوت بذلك اعظم
من منفعته بل قد يكون ضررا محضا وان كانت النفس تشتفي به وتبرا النبي
صلى الله عليه وسلم من الصالقة وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة فكيف بالمغنية
التي ترفع صوتها بالغناء واما القتال فالسنة فيه ايضا خفض الصوت
واما هذه الدبادب والابواق والطبول فانها لم تكن على عهد الخلفاء الراشدين
ولا من بعدهم من امر المسلمين وانما احدثت من جهة بعض ملوك المشرق
من اهل فارس وانتشرت في الارض وتداولها الملوك حتى ربا فيها الصغير
وهرم الكبير لا يعرفون غير ذلك وينكرون على من ينكره وزين عند بعض الجهال
ان هذا من احداث عثمان وليس الامر كذلك بل ولا من فعل من بعده من
الخلفاء وانما ورثته الامة من الاعاجم ولم يكن منه بل تحقيقا لقول النبي صلى
الله عليه وسلم لتاخذن امتي مأخذ الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع
قالوا فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء وكما في الحديث الاخر لتركبن
سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا
يا رسول الله اليهود والنصارى وبفارس والروم وظهور هذه الشبه في
الطوايف انما يعرفه من عرف الحق وضده وعرف الواجب والواقع وطابق بين

قال من والحديثان في الصحيح واخبر انه لا بد من ان يكون في الامة من يتشبه باليهود والنصارى صح

هذا

هذا وبين ما كان عليه السلف الصالح فاذا كان رفع الصوت في مواطن العبادات
بالذكر والدعاء الذي يحبه الله ويرضاه بدعة مكروهة لا يتقرب بها الى الله فكيف
يكون رفعه بالغناء الذي هو قران الشيطان قربة وطاعة وقد سماه النبي صلى الله
عليه وسلم صوتا فاجرا احمق زري عنه الوجه الحادي عشر انه يامر بعشق الصور
الذي كرهه الله وينهى عن العفة وغض البصر الذي امر الله به فان الغناء يتضمن
التحريض على الفسق وذكر محاسن المعشوق ووصفها وذكر طيب وصاله وعذاب
هجره ولو غنى المغني باشعار العفة والتحويف من عذاب الله والترغيب في العمل
الصالح وذم الفواحش لاستسمج الحاضرون واستثقلوه وتبرموا به فقالوا هذا
مبتدع مخالف لسنة الغناء ونعم هو مخالف لسنة الفساق الوجه الثاني عشر
انه يتضمن من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ما هو معلوم من شانه فان
غالب زبونه وفرسانه لا يصلون ومن صلى منهم فانه من الذين اذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ومن صلى منهم لله
فانه صلاته خرجته خالية عما ذكرناه من ذوق الصلاة ومواجيدها وحقايقها
لان قواه انصرفت الى ذوق السماع وصار شربه ووجده فيه ولا يجتمع الذوقان
والوجدان والحلاوتان في قلب واحد بل الامر كما قيل

سارت مشرقة وسرت مغربا ❊ شتان بين مشرق ومغرب ❊

والله يعلم انا لم نتعد وصفهم ويعلم انهم كذلك بالجملة فمفاسد السماع
من جنس مفاسد عشق الصور وهي اكثر من ان يحصرها العد وانما يشهدها
القلب الحي والا فالمجرح بميت ايلام فصل قال صاحب الغناء حسن الصوت
مما انعم الله به على صاحبه من الناس قال تعالى يزيد في الخلق ما يشاء
قيل في التفسير انه حسن الصوت الحسن وذم الله تعالى الصوت القطيع
فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صاحب القران كون الشيء نعمة
لا يقتضي اباحة استعماله فيما شاء المنعم عليه فيما احب المنعم به ورضيه
فذلك شكر هذه النعمة التي يستوجب بها من شكرها المزيد فيقيد
بالشكر موجودها ويحصل به مفقودها فهذه النعمة تقتضي استعمال
الصوت الحسن في قراءة القران كما كان موسى الاشعري يفعل ذلك حتى كان ابو موسى
النبي صلى الله عليه وسلم ليستمع لقراءته وقال مررت بابي البارحة وانت
تقرا فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت انك تستمع لقراءتي لحبرتك تحبيرا
وقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واما استعمال النعم في

Copyright © King Saud University